المدينة المنورة

في القرن الرابع عشر الهجري

تأليف

أحمد سعيد بن سلم

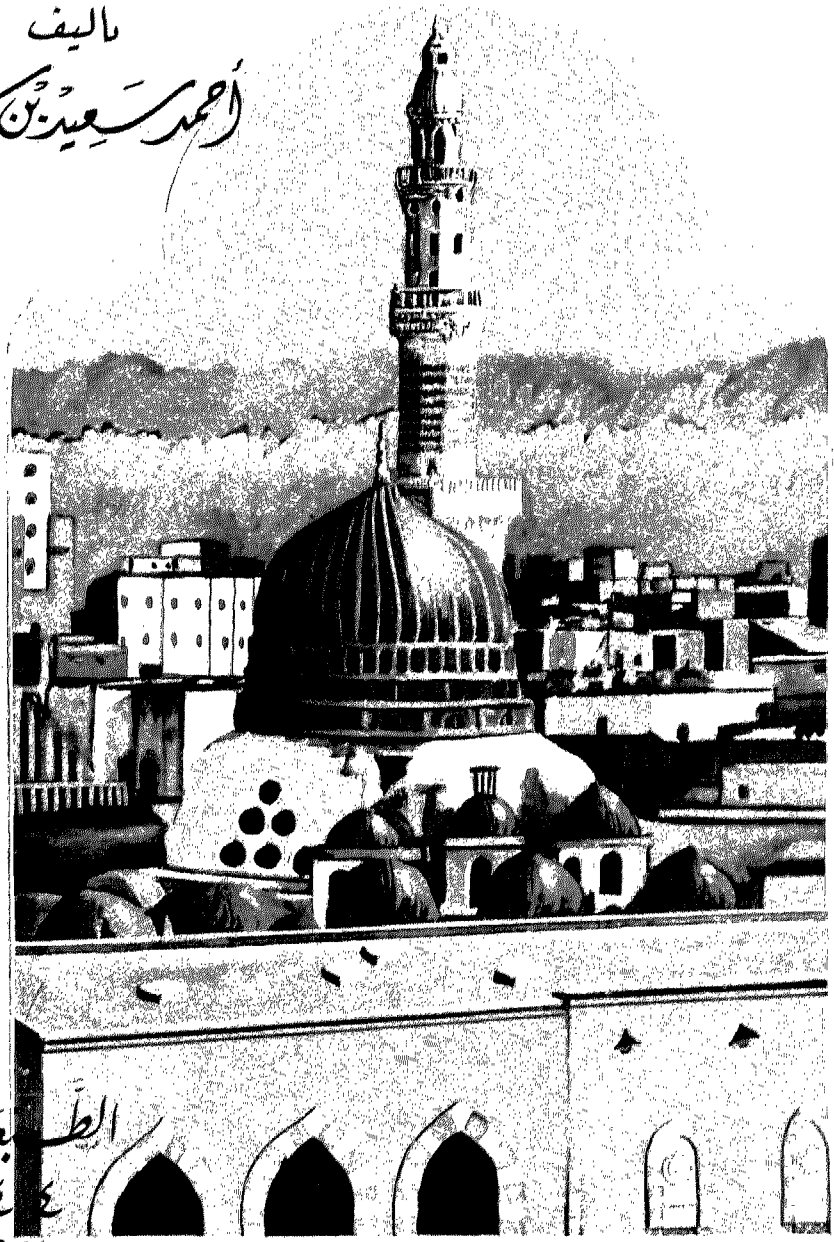

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ
١٩٩٣م

المدينة المنورة

في القرن الرابع عشر الهجري

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

لا يسمح بطبع أي جزء من الكتاب
أو خزنه في أي نظام لخزن
المعلومات واسترجاعها أو نقله
بأي وسيلة إلا بإذن خطي من
المؤلف / الناشر، وفي حالة
الاقتباس القصير في الدراسات
العلمية يجب ذكر المصدر.

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ
١٩٩٣م

المدينة المنورة

في القرن الرابع عشر الهجري

بحوث
تاريخية واجتماعية واقتصادية وعمرانية
وعادات وتقاليد

تأليف
أحمد سعيد بن سليم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ
١٩٩٣م

بِسمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بقلم الأستاذ : صالح حبيب محمد أحمد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم الأنبياء وعلى أهل بيته الطاهرين الطيبين وعلى صحابته وتابعيهم وتابعى التابعين وبعد :

فقد تشرفت بالوقوف على مؤلف الزميل الأستاذ أحمد سعيد بن سلم الذى خصصه بالمدينة واطلعت عليه فوجدته مؤلفاً قد بذل فيه الزميل جهداً يشكر عليه حيث أنه لم يترك شارده ولا وارده عن المدينة إلا وقد أوردها بأسلوب علمى شيق يمكن القارىء والمثقف البسيط أن يستفيد منه فائدة عظيمة دون أى جهد وعناء .

إن القارىء والمطلع على الكتاب يستطيع أن يعيش مع المدينة المنورة وطيبة الطيبة ويعيش معها رحلة تبدأ بأول من سكنها قبل الإسلام من الأوس والخزرج واليهود إلى العصر السعودى الزاهر .. رحلة أوضح فيها المؤلف طبيعة أرض المدينة وتضاريسها وآبارها وعيونها وما مر على سكانها من ظروف مختلفة ظروف تجدها تارة مفرحة وأخرى محزنة وثالثة ما سوف عليها .. رحلة ذكر فيها المؤلف مكانة المدينة - مأوى أفضل الخلق - وما وعد بها خير خلق اللّه الصابرين على لأوائها وحرها وبردها من خير .. رحلة أبان المؤلف للأبناء والأحفاد الذين سيأتون من بعد كيف كان التواصل والتكافل الاجتماعى عند الآباء والأجداد كيف كان الصغير يحترم الكبير وكيف كان الكبير يوقر الصغير . وكيف كان الغنى يشارك الفقير فى ماله بل وفى سكنه دون إشعار بالتعالى وكيف كان كل من أفراد المجتمع عائلاً لمن لا عائل له . أوضح المؤلف هذا كله ليقتدى الأبناء والأحفاد بآبائهم وأجدادهم .

إن ما ذكرته قليل من كثير يمكن القارىء للكتاب الوقوف عليه والاستمتاع بما يحتويه والاستفادة منه والإفادة .

وأخيراً لا يسعنى إلا أن أكرر شكرى للزميل مؤلف الكتاب على ما قدمه لأبناء جلدته وأخوته فى الإسلام من جهد أسأل اللّه أن يثيبه عليه وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● **مقدمة :**

الحمد للّه القائل والأرض مددناها للأنام والصلاة والسلام على سيد ولد آدم القائل اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة .

وبعد . . إن تاريخ المدينة المنورة قد حظى بكثير من اهتمام العلماء منذ أن تنورت بهجرة الرسول الأعظم إليها حيث قام المؤرخون بتسجيل حركات الرسول ﷺ باليوم والساعة وغزواته بالمكان والزمان ثم تتابع المؤرخون فى دراسة تاريخ المدينة كعاصمة أولى للإسلام وبعد ذلك وهذا التسجيل يتلخص فيما يلى :

١ – سيرة الرسول ﷺ وغزواته وحياته والتشريعات المرافقة لذلك .

٢ – المدينة كعاصمة للدولة الإسلامية الأولى .

٣ – المواقع التى ترتبط بها الأحداث الهامة .

٤ – كما سجل المؤرخون بعض المواقع التى لها صلة بحياة الرسول الأعظم ومما دعى إلى ذكر بعض المناطق والأماكن الأثرية فى المدينة من مساجد وآبار ودور وأودية وحصون وقصور لها أهمية فى تحديد المواقع .

وقد جاء جيل من المؤرخين اعتنوا بالمواضع التاريخية وذلك للعمل على ربط المسميات القديمة بالمسميات الحديثة وهذا عمل طيب جداً وفى الوقت الحاضر ظهر جيل من المؤرخين الشباب الذين أخذوا فى الكتابة عن أجزاء من المدينة من الناحية المكانية إلا أن الموضوعات تتسع وتتجاوز العنوان مما يجعل هذه الكتابات ذات فائدة كبيرة . وهناك نوع آخر من الكتابات عن المدينة التى تهتم بالنواحى الاجتماعية بالإضافة إلى بعض الخصائص الأخرى .

وأما كتابنا هذا فقد اتخذت له عنوان (المدينة المنورة فى القرن الرابع عشر الهجرى) ومعنى ذلك أن الموضوع سوف يشمل عدة جوانب وهى الناحية التاريخية وبعض المعالم والنواحى الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية وأمور أخرى تتصل بحياة الناس اليومية والعادات والتقاليد .

أرجو أن أكون قد شاركت بما فى وسعى على أن هذا العمل عمل فردى يعتريه النقصان والقصور فأرجو المعذرة إلى علماء طيبة الطيبة ولعل ما حدث من قصور يأتى أحد أبناء البلد الطيب ليكمله . وأن أنسى لا أنسى أن أشكر كل من ساعدنى بالرأى أو بالتوجيه والتصويب وأخص بالذكر الأستاذ صالح حبيب محمد أحمد موجه اللغة العربية الذى أخذ على عاتقه مراجعة الكتاب فجزاه اللّه خير وجعل ذلك فى كفة حسناته .

● ملاحظة :

فى الوقت الذى كنت أعد هذا الكتاب للطبع صدر كتاب الأخ ياسين أحمد خيارى (صور من الحياة الاجتماعية) فى المدينة المنورة وقد استحسنت بعض ما فيه من مخططات فعملت على الاستفادة منها فله ومن قام بالاتصال به جزيل الشكر والتقدير .

* * *

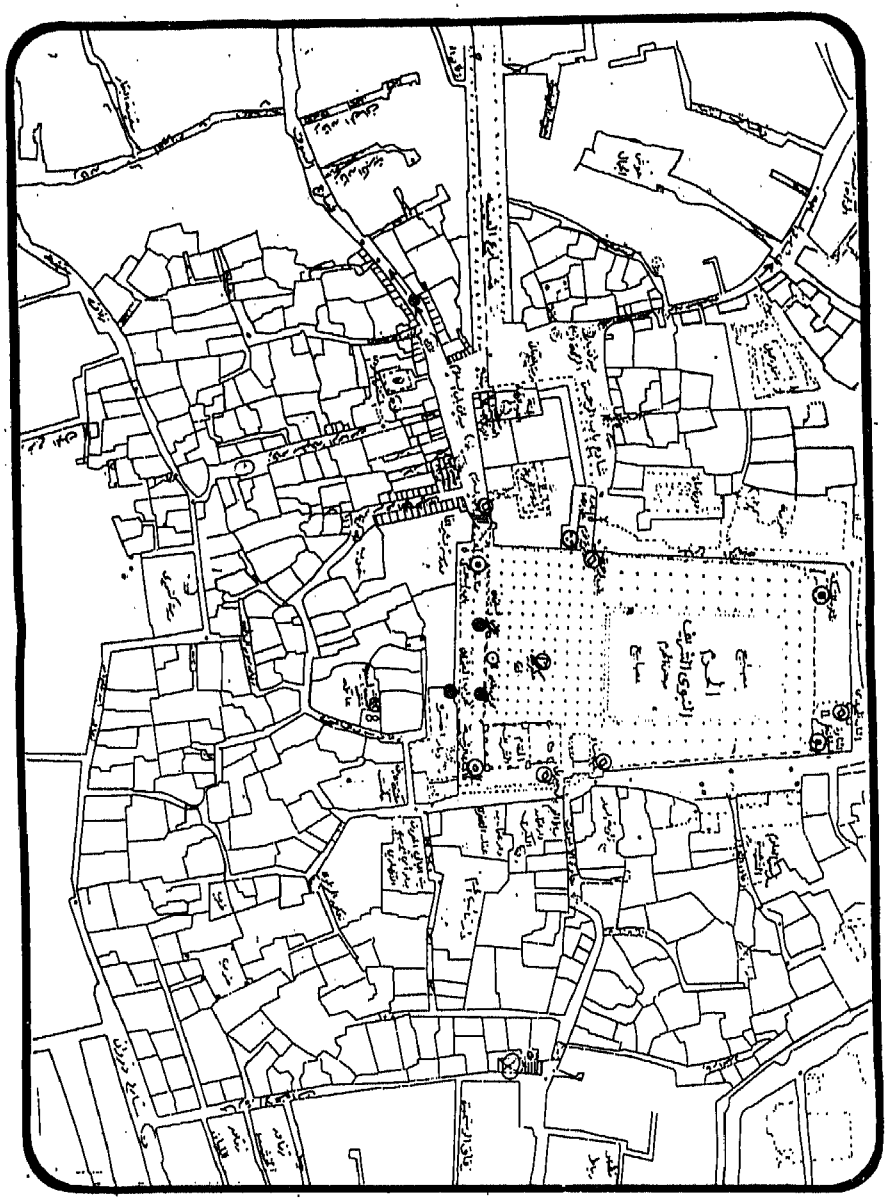

اللوحة رقم (١)

التمهيد

عندما هاجر رسول اللّه ﷺ إلى المدينة فى عام ٦٢٢ م كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية فيها لا تختلف عن أى بلد آخر فى الجزيرة العربية حيث كانت الحياة الاجتماعية تقوم على التكتلات القبلية والأحزاب العرقية .

كان يسكن المدينة عندما وصل إليها الرسول قبيلتا الأوس والخزرج القحطانيتان ويتفرع منهما أعداد كبيرة من الفروع وكان الصراع قائماً بين القبيلتين الكبيرتين من ناحية وبين الفروع الأصغر من ناحية أخرى وكان اليهود يغذون هذه الحروب بإمداد الطرفين بالسلاح والتحالف معهما فى سبيل استمرار الصراع بين العرب لكى لا يتحدوا ضد اليهود والقضاء على مصالحهم الاقتصادية والسياسية وتفوقهم الدينى والاجتماعى . عمل الرسول ﷺ على تغيير هذا الواقع والقضاء على الصراعات المستمرة بين سكان المدينة :

١ - عمل على إزالة أسباب الحروب بين الأوس والخزرج وفروعهما وعقد بينهم مؤاخاة فأخى بينهم فى الدين بالإضافة إلى ما بينهم من أخوة النسب وبذلك أصبحوا قوة لا يستهان بها وأطلق عليهم اسم الأنصار .

٢ - المؤاخاة بين المهاجرين الذين قدموا مع الرسول من مكة وغيرها والأنصار وذلك ليكَّونَ من مجتمع المدينة وحدة واحدة تقف فى وجه أى عدوان وتكون عدة الجهاد ونشر الإسلام من ناحية ومن ناحية أخرى ليحل مشكلة اقتصادية واجتماعية طرأت بتدفق المهاجرين على المدينة بعد أن تركوا أموالهم فى مكة فأخى صلى اللّه عليه وسلم بين كل فرد من الأنصار وآخر من المهاجرين فى صورة لم يُجد التاريخ بمثلها حيث شارك المهاجرون الأنصار فى أموالهم ولكن كان المهاجرون عفيفى النفس حيث اتجهوا إلى ما يجيدون من أعمال ليتكسبوا منها .

٣ - هناك عنصر آخر شديد المراوغة وهم اليهود فى المدينة فعقد صلى اللّه عليه وسلم معهم معاهدة نصت على حرية اليهود الدينية وضرورة التعاون بين سكان المدينة من المسلمين واليهود ضد من يحاول غزوها . وبذلك مهد الرسول الأعظم لوضع نواة الأمة وكانوا عدة الجهاد والفتح فيما بعد وبذلك أصبحت المدينة فى عهد الرسول عاصمة الإسلام الأولى وازدادت أهميتها فى عهد الخلفاء الراشدين عندما بدأت الفتوحات فهى الموجهة لهذه الفتوحات ويقيم فيها من تولى الخلافة بعد الرسول ﷺ . وعندما انتقلت الخلافة إلى الشام فى عهد الدولة الأموية سلبت من المدينة تلك الأهمية وأصبح الأمويون ينظرون إليها على أنها بلد معارضة لحكمهم وقد اتضحت هذه الصورة عندما حاول معاوية إرغام الجيل الثانى من الصحابة على مبايعة ابنه يزيد كما أن المدينة وأختها الكبرى مكة تعرضتا لأبشع غزو من جيوش الأمويين وكان حكام الشام يبعثون إلى هاتين المدينتين المقدستين أعتى الأمراء ليسوموا أهلها سوء العذاب ولم يختلف الوضع كثيراً بالنسبة للعصر العباسى وأما فى عصور الدويلات فكان حكام تلك الدويلات يحسنون إلى أهل المدينة بإرسال الهبات والصدقات والعناية بالمسجد النبوى وترتيب الأوقاف لمن يعمل به .

وعلى مر العصور كانت المدينة مهاجر للمسلمين سواء منهم من أبعدته الدولة الأموية والعباسية إليها أو من أحب أن يجاور بها .

ومن هذه الأحداث السابقة تكون مجتمع المدينة ذو الخصائص الطيبة التى ساعدت على الدمج والاختلاط فيما بينها وعدم الميل إلى الرجوع إلى القوميات التى ينتسبون إليها .

* * *

موقع المدينة وجغرافيتها

تقع المدينة المنورة فى الشمال الغربى من الجزيرة العربية فهى تقع شمال مكة المكرمة وترتبط بها وبجدة بخط معبد بطول ٤٧٠ كم تقريباً كما ترتبط بالمدن التى تقع شمالها بخط جيد وكذلك بمنطقة القصيم وحائل فالرياض .

وتقع المدينة على خط طول ٣٦/ ٣٩ درجة وخط العرض ٢٤/ ٢٨ درجة وترتفع عن سطح البحر بحوالى ٦٢٥ م تحيط الحرار بالمدينة من جهاتها الثلاث ما عدا الشمالية وهى الحرة الغربية التى تمتد من القبلتين متجهة إلى الجنوب ثم إلى الشرق ثم إلى الشمال واعتاد أهل المدينة أن يطلقوا على هذه الحرار الحرة الشرقية والحرة الغربية مع أنهما حرة واحدة تتكون من الصخور البازلتية التى يصعب النفوذ عبرها إلى المدينة فهى حصن طبيعى ضد من حاول غزو المدينة وأن الغزوات القديمة التى حدثت فى عهد الرسول كأحد والخندق كان دخولها من الجهة الشمالية التى لا يوجد بها حرار .

وتحيط بالمدينة بعض الجبال مثل جبل أحد من الشمال جبل عير من الجنوب والجماوات فى الغرب .

* * *

أودية المدينة

● **فى المدينة ثلاثة أودية :**

١ - وادى العقيق غرب المدينة ويتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال وهو وادى به مزارع كثيرة .

٢ - وادى قناه فى الجهة الشرقية من المدينة يخترق منطقة العاقول والعريض وسيد الشهداء ويلتقى ماؤه مع ماء وادى العقيق بعد منطقة العيون شمال المدينة .

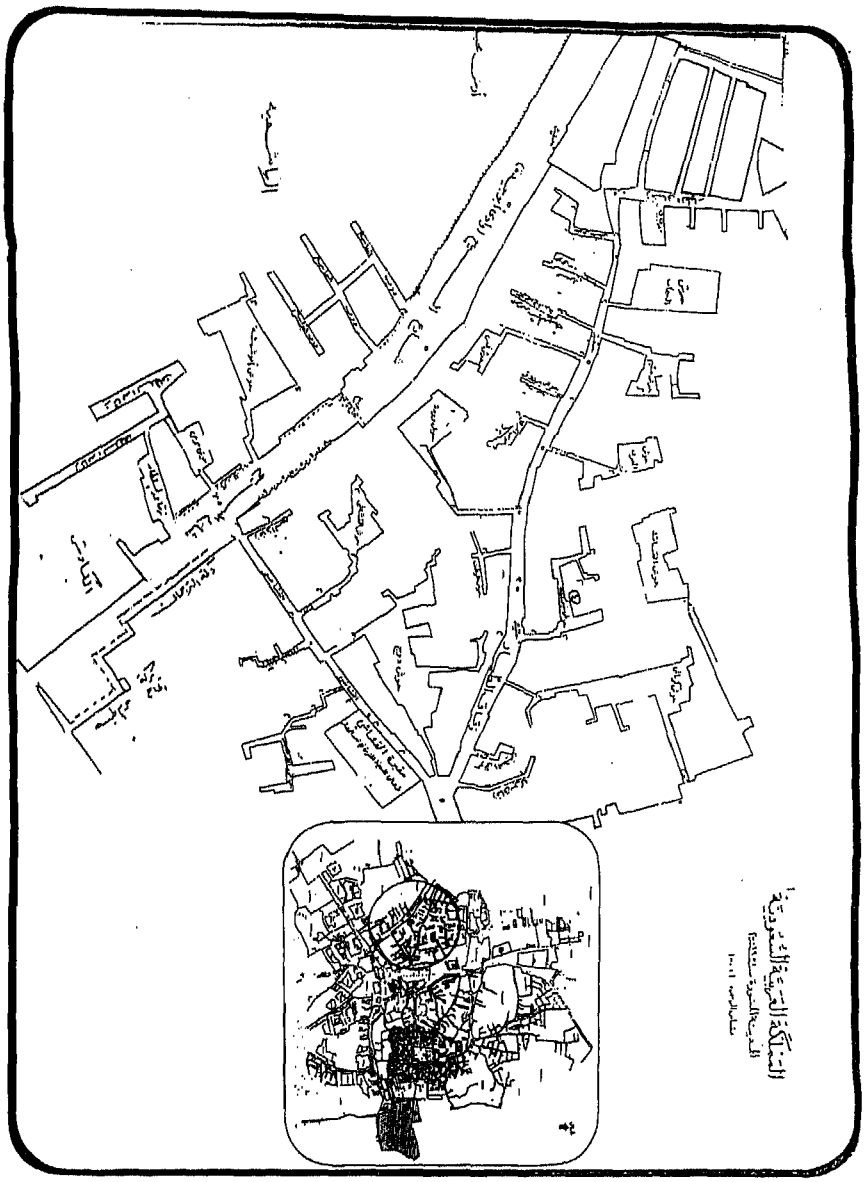

اللوحة رقم (٢)

٣ - وادى بطحان كان يخترق المدينة من الجنوب إلى الشمال حيث كان يسيل فى منطقة قربان ثم يدخل المدينة حيث يسيل فى السيح ثم إلى منطقة السبعة المساجد يلتقى مع الأودية السابقة فى الشمال ويعرف هذا الوادى فى داخل المدينة بسيل أبى جيدة لأن الشيخ جيده جد آل براده هو الذى أقام سدوداً من الجص لصد هذا السيل حتى لا يداهم الأحوشة الجنوبية من المدينة [١] .

ومن الملاحظ أن أودية المدينة الثلاثة تتجه من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية مع تفاوت فى درجة الاتجاه .

* * *

« المناخ »

يسود المناخ الصحراوى منطقة المدينة الذى يتميز بأنه حار جاف صيفاً ودافىء ممطر شتاء ودرجات الحرارة تنخفض فى الشتاء فى المدينة عنها فى مكة وجدة .

والأراضى الزراعية تقع فى جنوب المدينة حيث يكثر النخل وبعض الفواكه وفى الشمال حيث تكثر زراعة النخيل والفواكه والحبوب والخضروات والبرسيم .

المياه : تعتمد الزراعة فى المدينة على المياه الجوفية وكانت إلى ما قبل عشرين سنة سطحية أو قريبة من سطح الأرض وعندما قلت المياه حفر المزارعون الآبار الأرتوازية العميقة للحصول على الماء اللازم للزراعة أما مياه الشرب فكانت تجلب إلى المدينة بواسطة « دبل » وهو مشقوق فى باطن الأرض مرصوف حيث لا يتسرب منه الماء من منطقة قباء إلى المدينة حيث يوزع على مناهلها المعروفة .

* * *

(١) زيدان ، العهود الثلاثة ص ١٩

حدود حرم المدينة

فقد وردت فيه عدة أحاديث نبوية منها ما يقتضى :

١ - تحريم ما بين لآبتيها أى « حرتيها » .

٢ - تحريم ما بين حرتيها وجماواتها وهى ثلاث أجماء :

جماء تضارع ، جماء أم خالد وجماء العاقل أو العاقر وكلها جبال تطل على العقيق من الجهة الغربية قرب الجامعة الإسلامية .

٣ - تحريم ما بين ثور وعير : ثور جبل صغير خلف جبل أحد .

عير جبل أسود كبير يقع جنوبى المدينة محاذ لذى الحليفة ويمر بطرفه الشمالى طريق الهجرة وحرم المدينة يحده من الشمال جبل ثور ومن الجنوب جبل عير فحدودها من هاتين الجهتين أوسع منها من الجهة الشرقية والغربية .

٤ - تحريم المدينة بريداً من كل ناحية كما ورد عن سعد بن أبى وقاص أنه قال : « سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : من وجد من يعضد أو يخبط شيئاً من عضاة المدينة بريداً فى بريد فله سلبه » .

وقد ورد مثل ذلك فى موطأ الإمام مالك وهو موافق للتحديد بذات الجيش وإشراف المحيط [1] وهذا أوسع مما ذكر سابقاً .

والتحريم المذكور والخاص بالمدينة يقتضى تحريم الصيد وتحريم الشجر كما هو الحال فى تحريم مكة لأن الرسول ﷺ حرم المدينة كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة وهذا يقتضى التماثل فى الحكم .

* * *

---

(١) الدر الثمين معالم دار الرسول الأمين ، لمحمد غالى الشنقيطى ص ١٦ إلى ١٨ (بتصرف) .

فضل المدينة

تعتبر المدينة معقل الإسلام والمسلمين وفيها شع النور المحمدى ومنها انتشرت دعوة اللّه فى جميع أنحاء المعمورة فكان لها فخر نصرة النبى ﷺ ونشر دينه وقد جعل اللّه المدينة داراً لهجرته ونصرته ومسجدها ثانى المساجد التى تشد الرحال إليها وفيه الروضة المطهرة التى هى من رياض الجنة إن للمدينة وحرمها وحرمتها وللمكان الذى ضم الجسد الشريف الطاهر المنزلة السامية الرفيعة وتسابق العلماء ورويت أحاديث كثيرة التى تتحدث عن فضائل المدينة المنورة ، وفضائل المدينة أكثر من أن تحصى ونكتفى بذكر بعض من الأحاديث قال رسول ﷺ : « المدينة مشبكة بالملائكة على كل ثقب منها ملك يحرسها » .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : « قال رسول اللّه ﷺ على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » .

● حرم المدينة وحرمتها وحرمة أهلها :

قال رسول اللّه ﷺ : « إنى أحرم ما بين لآبتى المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها ، وقال : المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل اللّه فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » .

عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « من أخاف أهل المدينة أذابه عز وجل فى النار كما يذوب الملح فى الماء » .

عن أبى هريرة قال : « أيما جبار أراد المدينة بسوء أذابه اللّه كما يذوب الملح فى الماء ولا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة » .

* * *